سلسلة علماء الإسلام للناشئة

الإمام أبو يعقوب

يوسف الوارجلاني

عبد الله أبو عمّار

خرج وليد من المدرسة القرآنية المسائية إلى بيته مسرعا، وكلّه اشتياق إلى والديه، ووضع محفظته فور دخوله المنزلَ وسلّم على أمّه التي كانت منهمكة في تحضير العشاء، وعلى والده الذي كان جالسا في مكتبه منهمكا في المطالعة.

الأب: كيف كان يومك يا وليد؟

وليد: كان رائعا يا أبي! اليوم أتممت استظهار سورة يس.

الأب: مبارك عليك يا ولدي، إذن سنطلب من أمّك أن تطبخ لنا طَبَقًا من "ارفيس" لنأخذ منه حاجتنا ونرسل الباقي صدقةً إلى معلّمك وزملائك؟

وليد: أجل يا أبي، كم كنتُ أتمنى إتمام استظهارها.

وضع الأبُ الكتابَ الذي بين يديه وَهَمَّ بالقيام، لكنه ابنه سأله عن ذلك الكتاب ومحتواه ومؤلّفه.

الأب: إنه كتاب **الدليل والبرهان لأهل العقول** للشيخ أبي يعقوب الوارجلانيّ، جمع فيه صاحبه العديد من العلوم.

وليد: لقد سمعت بهذا الاسم من قبل، من يكون الوارجلانيّ هذا يا أبي؟

الأب: "هو يوسف بن إبراهيم بن منّاد، السدراتيّ الوارجلانيّ، نسبة إلى مدينة سدراتة الواقعة في إقليم وارجلان، أي في ولاية ورقلة الحاليّة، عالم من أكابر علماء الإباضيّة والإسلام. ولد حوالي سنة 500هـ/ 1105م، طلب العلم في بلدته

ثمّ بدأ رحلته إلى الأندلس أوّلا، فكان طالبا في قرطبة لسنين طويلة، وكان نابغة بين زملائه، حتّى كانوا يلقّبونه بـ"الجاحظ" نسبة للعالم الكبير عمرو الجاحظ العراقي..."

وقبل أن يتمّ الأب كلامه قاطعته الأمّ قائلة: العشاء جاهز!

ساعد وليد والدته في وضع الطبق على الطاولة، ولما أتمّ الثلاثة عشاءهم واصل الأب كلامه:

"لما أتمّ شيخنا يوسف طلب العلم في حاضرة الأندلس قرطبة، عاد إلى موطنه، لكنّه لم يلبث كثيرًا ثمّ سافر مرّة أخرى"

وليد: إلى أين هذه المرّة يا أبي وقد أتمّ دراسته؟!

الأب مواصلا كلامه: "إلى بلاد السودان يا ابني، للتجارة والاستزادة في العلوم، وطلب العلم لا يتوقّف عند عمُر ما، فهو من المحد إلى اللحد.

اتّجه الشيخ جنوبا عبر الصحاري والقرى إلى أن كاد يبلغ خط الاستواء، ولم تكن رحلته استجماما وترويحا عن النفس، وإنما كان يدوّن ملاحظاته العلمية على طول الطريق، ثمّ اتجه من هناك إلى البقاع المقدّسة لأداء فريضة الحجّ، وبعد الحجّ زار معظم المدن الإسلامية في المشرق، فأصبح عالما موسوعيا.

وليد: ما معنى عالم موسوعي؟

الأب: العالم الموسوعي هو المتبحّر في مختلف العلوم، ولا يقتصر علمه على علم محدّد.

وبعد رحلاته اعتكف في بيته سبع سنين للتأليف، فترك عدّة مؤلّفات وكتب، منها: الكتاب الذي رأيته بين يديّ قبل قليل، والذي هو بعنوان الدليل والبرهان لأهل العقول، وتفسير للقرآن الكريم، وكتاب آخر بعنوان العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف، ومرج البحرين، وكتاب في تراجم رجال مسند الإمام الربيع، وكتاب بعنوان فتوح المغرِب في تاريخ بلاد المغرب، وبعض الأجوبة الفقهية والرسائل المتنوعة وغيرها.

وليد: حقا إنه عالم من كبار العلماء يا أبي! لم أكن أعرف عنه كلّ هذا.